القضايا و الخصائص العامة :

شعر رمضان حمود أنموذجا:

ظل اقتراب الشعراء الجزائريين من مفهوم الشعر و تصورهم لممارساته محكوما بالوظيفة التي انتظروا استجابته لها أي قيامه بدور في الحياة الأجتماعية بالتعليم و التثقيف ، و تأسيس قيم الاصلاح و الوطنية الناشئة بعد الثلاثينات و حمايتها . لعل السياق السياسي الذي خلق للحركة الاصلاحية في الجزائر أثرها في مجتمع يعاني من مظاهر التخلف و الجمود الفكري بين الناس ، كان له الأثر الحاسم في توجيه الشعر إلى ما التمسه الشعراء جوابا على القضايا الثقافية و المجتمعية التي كان عليهم مواجهتها.في ذلك كانت العودة إلى قيم الماضي لاحيائها من جديد في ضوء صلتها بالأصول الدينية .النصية و المجتمعية.

لقد فهم الشعر من الأمكنة التي كانت حددت عناصرها الكتابات الشعرية القديمة في تعاريفها للشعر ،بالخصوص تلك التي جعلت من أسبقية المعنى و غرض القصيدة و البيت في وحدته العناصر الأولى بالاعتبار . و كان البحث عن تصور جديد لمفهوم الشعر يتوافق مع توجه نقدي أسسه شعراء و نقاد في مسعى مراجعتهم لتاريخ الشعر العربي القديم أو إعادة تحديد الموقف منه في ضوء المحدث الذي بدأيكتسح ممارسات الشعر العربي منذ بداية العقد الرابع من القرن الماضي . فكانت الرومانسية بالنسبة إليهم ثورة على القديم و نداء حرية في دعوتها للتخلص من التقاليد التي لم تعد ملائمة للعصر الحديث.

من أجل ذلك طرح رمضان حمود عددا من القضايا و الموضوعات الحيوية بخصوص مفهوم الشعر و ممارسته . لا بالنسبة للجزائر فحسب بل و أيضا للشعر العربي إجمالا في أفق بحثه عن المسارات الكفيلة بتحرير الشعر العربي و تغيير

تصور قضاياه ، و تأكيد صلته بالعصرالذي يوجد فيه من مكان الحرية التي افتقدتها ممارساته في العلاقة باللغة و الخيال.

نشر رمضان حمود عددا من المقالات بجريدة (وادي ميزاب) ابتداءا من سنة 1927 و قدم مجموعة من القصائد التي ضمها إلى مقالاته تلك في كتابه (بذور الحياة)الذي طبع في تونس سنة 1928 لأول و آخر مرة .منخلال هذه الكتابات مجتمعة نلمس حماس الثورة الذي انطلق به عمل رمضان حمود في نقد السائد من القول الشعري و استشراف الممكن الذي جاءت به الرومانسية خارج المحيط الذي كان يعيش فيه . و لعل سيرته التي كتبها في قالب قصصي تعكس تلك الرغبة النفسية في الإختصاص بطريق في التفكير و بتصورات تستقل بشخص صاحبها بخصوص الشعر الذي كان يعاصره و يعيش قضاياه .لذلك جاءت دعوته مفعمة بإحساس التمزق و انشطار الوعي تجاه العالم و المعيش و قاده الوعي الحاد بقضايا الراهن الذي يعيشه زمنيا و أثرا في الجسد الشعري إلى محاولة نقض الأنموذج التقليدي السائد بآخر من تمثله الفردي لقيم الرومانسية .

ففي الوقت كانت فيه الكتابات تجر طرق التقليد طرح رمضان حمود تصوره الشعري عن الممارسة بما يكون الشعر فيها عتلة التقدم و حافزه . اعتمد في ذلك التصور الأوروبي لمفهوم الشعر كأنموذج نظري لتحرير القصيدة من تحديدها بالوزن و القافية و من الخضوع لمعايير انتظام عناصرهما . و من أجل ذلك اعتبر الترجمة و العلاقة بالآخر عنصرا للتفاعل و الإنفتاح على أنموذج مختلف يقوم بتخصيب الممارسات الشعرية العربية ،و يهيأ لها أسباب التحديث ففي ضوء الترجمة و التفاعل مع الآخر استجاب الشاعر العربي إلى الإبدالات التي مست مفهوم الشعر ووضعه الاعتبارين و البنية الشعرية في مسارتها و طرائقها وهي تنفلت من سلطة البيت و توجهه إلى استثمار إمكانات الخيال في بناء القصيدة الرومانسية و النص الشذري

المنفتح على تعدد الأجناس فكيف تبين رمضان حمود مفهوم الشعر ؟و كيف بنى خطاب الدعوة إلى تجديد ممارسته و النظر إلى وظيفته ؟و بأي العناصر النظرية و الشعرية صاغ تصوره ذاك؟

مفهوم الشعر عند رمضان حمود :

لاتشكل سلسلة المقالات الرفيعة التي نشرها رمضان حمود تحت عنوان (حقيقة الشعر و فوائده) العمود الأساس لكتاب(بذورالحياة) و حسب بل و أيضا التفصيل النظري لجودة الرؤية التي اختص بها رمضان حمود في تاريخ الشعر الجزائري الحديث الذي لم يكن بدأ استأنف ممارساته بعد.؛و منذ مطلع المقالة نلتقي بتصور شعري أخاذ إلى عدد من الخصيصات التي حملتها الرومانسية .و مستجيب لما بنيت به ممارساتها الشعرية ، و لما به كانت تقترب من فعل التحديث و إبدالاته في القصيدة الأنموذج .و يعنى التصور إياه بمفهوم الشعر فينقله من الحد التقليدي ،و يستكشف جوهره ووظيفته من خلال مفهوم النبوة التي يؤدي الشاعر دورها و الحقيقة التي يبحثها و من أجلها يصدر قصيدته ، قال:

((قد يظن البعض ، أن الشعر هو ذلك الكلام الموزون المقفى ، و لو كان خاليا من معنى بليغ ، و روح جذاب ، و أ الكلام المنثور ليس بشعر و لو كان أعذب من ماءالزلال ، و أطيب من زهور التلال ، فهذا ظن فاسد و اعتقاد فارغ ، و حكم بارد ، إذ الشعر كما قال شابلن " و النطق بالحقيقة "تلك الحقيقة العميقة الشاعر بها القلب و الشاعر الصادق قريب من الوحي) .

يخرج هذا التصور الشعر من المعنى المغلق بحد الوزن و القافية الذي قيده إليه "عبيد التقليد" و أعداء الاختراع وهو يلتقي بتصورات شاعريين و فلاسفة عرب قدامى رأوا الشعر اختبارا لفعل التخييل تارة و كشفا للرؤيا تارة أخرى الرؤيا التي لا

تعبربالضرورة من قوالب اللغة و التعبير أو من علوم الآلة و قد لا تحمل اسم الشعر ما دامت تتوفر على حظوظ الانكشاف في النثر أيضا ، و ها هي النبوة ذاتها تحمل وسم الشعر عند العرب ،) فلو أنهم قصدوا بالشعر الوزن و القافية ، لما قالوا في بداية الدعوة المحمدية ... أن القرآن شعر ، و أن صاحبه شاعر مجنون ، مع علمهم أنه كلام مرسل لاأثر للوزن فيه)

يفهم رمضان حمد الشعر فيما ينطوي عليه مفهومه من إشارة إلى ما يبحثه الشاعر من حقيقة ينطق بها نبوة ، يستعمل من أجلها طرقا تقترب من التصوير . إذ يلتقي الشاعر و المصور في الفن و البحث عن الجمال و تحفزهما نفس الأسباب و تحرك فاعليتها رغبة امتلاك القول و الأخذ بأومة النفوس عن طريق الإجادة في تصوير العواطف في هذا المعنى يسأل كل من الشاعر و المصور عن الإجادة في تسخير مهارتهما من أجل بناء القيم المشتركة للأمة ، و لقوميتها من أجل تحرير عقليتها و من أجل تقدمها .يقول : " و عندي أن الغرب ما تقدم إلا بشعرائه المجيدين ، و لا تأخر الشرق إلا بشعرائه المعكوسين الذي ارتدوا ثوب الجمود و التقليد و نسوا واجبهم الوطني الشريف ، و مالوا إلى اللهو و الترف و المجون ، فنسجت العامة على منوالهم فمات الشعور القومي ، و الميزة الشرقية و تلبدت غيوم الجبن و حب الذات على العقل ، و مسخت النفوس ، و عم الوبال على جميع الطبقات .

و إذ يبرز مفهوم التقدم في أول الكلمة علامة عن تمثل شعري من رمضان حمود لوظيفة الشعر في الحياة الحديثة ، في الغرب قبل الشرق فإن الدور النبوي للشاعر يؤهله بأن يكون سندا للحياة أو سببا في موت الأمم ،و لا يمكن للشاعر أن يقوم بدور رسول الحرية و السعادة إلا إذا قطع الصلة بالأشكال الشعرية العتيقة التي يقلدها من تشطير و معارضة و احتداء ، و تخلى عن الأغراض

الشعرية البالية التي عفا عنها الزمن في الشعر) من أجل القيام بالوظيفة الثقافية و المجتمعية التي تتفاعل مع خصيصة التجربة الفردية ....يقول: (الشعر كامن في أعماق نفس الإنسان كمون النار في الحجر تظهرآثاره للخارج ، و قد يشعر العامي الجاهل الأمي و يكهرب النفوس بشيطانيته و يترك أثرا مبينا في قلوب السامعين ، و يحاول العالم العروضي مجاراته فلا يفعل شيئا ، سنة لله في نفوس عباده و هل تجد لسنة الله تبديلا ؟و ذلك أن الأول بقطع النظر عن لجنه و تحريفه يرسل الكلام من نفس متقدة ....فيلقى رواجا كافيا في أسواق الأفئدة و الصدور).

فالشعر تيار كهربائي مركزه الروح ، وخيال لطيف تقذفه النفس ، لا دخل للوزن و القافية في ماهيته ، و غاية امرهما أنهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق و الجمال في التركيب لا في المعنى ، كالماء لا يزيد الإناء الجميل عذوبة و لا ملوحة ، و إنما حفظا و صيانة من التلاشي و السيلان).

و يجد رمضان حمود في الفصل بين اللغة و الأدب و التمييز بينهما (بجعل الأولى إناء لماء الأدب)طريقا للعبور إلى دعوى ضرورة ارتباط بتعبيره عن القضايا الاجتماعية و الوطنية و بأقرب لغة إلى هذه القضايا و إلى الناس الذين يعيشونها و هو يدعو الشعراء إلى تجاوز الماضي و اختيار ما يكونون به (عصرا مستقلا منيرا ذا ميزة على غيره) تقوم فيه لغة الشاعر بدور البلسم و إنارة طريق التقدم يقول :" يا أيها الأدباء الأحرار أنبذوا عنكم التكلف و التنطع في اللغة ، و أفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل ، و اخضعوا الصوت الضمير و الواجب ، وصفوا أنفسكم من الانتقام قبل الانتقاد و لاتقيدوا كتاباتكم بطريقة أحد مهما كان شأنه و قدره في الأدب ، و مهما كان بيانه الساحر".

2/رمضان حمود و عتبة الإبدال الرومانسي :

1- تمثل رمضان حمود الإبدال الشعري من خلال رفضه التقليد الذي سادت فيه الأشكال المفرغة و من خلال دعوته إلى إعادة بناء تصور الشعر في اعتبار الدور الحيوي للشعر في الحياة ، في صلة ممارساته بالذات الفردية ، و بفعل الخيال .

2-انطلاقه من قيمة الأدب و مركزية الشعر فيه جعل اهتمامه ينصب على العلاقة التي تربط الشعراء الجزائريين بأنموذجه القديم و الحديث أولا ,و من ملاحظة الولاء للشرق الذي كان يتجاوز عمليا أهمية الممارسات القابلة للنقض و قد عدت أنموذجا بعد ذلك .

3-اعتماد مفهوم التحديث و الانتماء إلى العصر عنصرا موجها للتصورات الشعرية ، و حيث يصبح الوعي الرومانسي بعناصره الأساس محددا لمفهوم الشعر و التصورات التي ترافقه .

4-إلى الحقيقة و النبوة التي حددت الغاية ووضع الشاعر في الممارسة الشعرية يقوم مفهوم التقدم واضحا في خطابه النظري لرمضان حمود كأس يعتمد من أجل التحديث و الثقافة القومية لديه .

من هذا نستنتج أن الشعر عند رمضان حمود يقوم على إثارة العديد من القضايا التي همت السياق الثقافي في الجزائر و حضور الشعر العربي فيه ، ففساد المتداول فيه و منه الشعر العربي من وجهة نظر رمضان حمود عام لا يستثني أية ممارسة ، و بالخصوص تلك التي جاءت من شعراء رموز التقليدية في المركز رغم الحاجة الحيوية إلى الشعر من أجل ترسيخ قيم الحياة بتجديد اللغة و الاتصال بالماضي و الدفاع استقلال الشاعر و حريته في اختيار طريقة القول التي تناسبه دون قيد الوزن و القافية

قائمة المصادر و المراجع:

1-عمر بن قينة ،في الأدب العربي الحديث ، دار إبداع نايف ، للنشر و التوزيع ، ط2،جدة المملكة العربية السعودية ،1425هـ،2004م.

2-ممدوح حقي ، مقدمة ديوان الأمير عبد القادر ،دار اليقظة العربية بيروت ،1956.

3-الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر ، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر ،ج2 ، بيروت ،1967.الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية ، ج1 ،دار المعارف ، القاهرة دت.

4-عمر بن قينة ،الشكل و الصورة في الرحلة الجزائرية ، دار الأمة ، الجزائر ، 1985.

5-ما الأدب ؟ جان بول سارتر ،ترجمة و تقديم : محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، لبنان ، 1967.

6-عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1992، ط3.

7-محمد ناصر ، رمضان حمود حياته و آثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2، الجزائر ، 1985.

8- يوسف ناوري ، الشعر الحديث في المغرب العربي ،ج1زئين دار توبقال للنشر، ط1، 2006.